

من السرد إلى الهوية: فن القصة وبناء الهوية الثقافية للأطفال

د/ نعيمة شلغوم

أستاذ محاضراً

قسم اللغة والأدب العربي

جامعة الشهيد عباس لغرور. خنشلة. الجزائر

naima.chalghoum@univ-khenchela.dz :

تاريخ النشر: 2026/09/18	تاريخ القبول: 2026/01/02	تاريخ الإرسال: 2025/09/22
-------------------------	--------------------------	---------------------------

الملخص:

يُعد فن السرد في أدب الأطفال وسيلة فعالة لبناء وإثراء الهوية الثقافية، حيث تساهم القصص في نقل التراث الثقافي، وتعليم القيم المجتمعية، وتعزيز الفهم المتبادل بين الأجيال. يسعى المقال إلى تحليل دور فن السرد القصصي في بناء الهوية الثقافية لدى الأطفال واستكشاف الاستراتيجيات التي تستخدمها القصص لتعزيز الفهم الثقافي وتشكيل القيم الثقافية. كما يطرح المقال تساؤلات حول كيفية تأثير الأدب على شخصية الطفل ووعيه الثقافي، وقدرته على تعزيز الشعور بالانتماء إلى جذوره الثقافية مع التفاعل مع العالم من حوله. في هذا السياق، يتناول المقال أيضاً التحديات التي تواجه أدب الطفل في ظل العولمة والتغيرات الاجتماعية والتكنولوجية، ويقدم رؤية حول كيفية مواجهتها بفعالية، مما يساهم في تقديم تحليل شامل لدور فن القصة وتأثيره على الهوية الثقافية.

Abstract:

The art of storytelling in children's literature is an effective means for building and enriching cultural identity. Stories contribute to the transmission of cultural heritage, the teaching of societal values, and the promotion of mutual understanding between generations. This article aims to analyze the role of storytelling in constructing cultural identity in children and explore the strategies used by stories to enhance cultural understanding and shape cultural values. It also raises questions about how literature influences a child's personality and cultural awareness, and its ability to foster a sense of belonging to their cultural roots while interacting with the world around them. In this context, the article also addresses the challenges facing children's literature in the face of globalization, social changes, and technological advancements, offering insights on how to effectively address them, thereby providing a comprehensive analysis of the role and impact of storytelling on cultural identity.

مقدمة:

في عالم تتسارع فيه وتيرة التغيير الثقافي والاجتماعي، تظل قصص الأطفال جزءاً أساسياً من التجربة الإنسانية التي تسهم في تشكيل هوية الأجيال الناشئة، في هذا السياق تسعى هذه المداخلة إلى تحليل دور فن السرد القصصي في أدب الأطفال وكيفية تأثيره على بناء الهوية الثقافية لدى الأطفال، كما يتطلع إلى استكشاف الاستراتيجيات التي تستخدمها القصص لتعزيز الفهم الثقافي وتشكيل القيم الثقافية لدى الأجيال الناشئة، بالإضافة إلى ذلك، يسعى المقال إلى تقديم رؤى حول كيفية استخدام القصص لنقل التراث الثقافي وتعزيز الانتماء والهوية.

تتمثل الإشكالية الرئيسية في فهم كيفية تأثير فن القصة على الهوية الثقافية للأطفال، ومدى فعالية هذا التأثير في مواجهة التحديات الثقافية المعاصرة. في هذا السياق، يطرح المقال التساؤلات التالية: كيف يمكن لمحتوى أدبي يجمع بين الترفيه والقيم التربوية أن يسهم في تشكيل شخصية الطفل ووعيه الثقافي؟ هل يستطيع هذا الأدب، من خلال قصصه ورموزه، أن يعزز لدى الطفل شعوراً بالانتماء إلى جذوره الثقافية ويطور لديه وعياً متوازناً يساعده على التفاعل مع العالم من حوله؟ ومن هنا، كيف يمكن لهذه المنظومة المتكاملة من المتعة والتربية أن تؤدي دورها في إذكاء روح الطفل وتوجيه وجدانه نحو بناء هوية قوية ومتوازنة؟ كيف تسهم القصص في تعزيز القيم الثقافية وتشكيل الهوية الثقافية للأطفال؟ ما هي أبرز التحديات التي تواجه أدب الطفل في تعزيز الهوية الثقافية في ظل العولمة والتغيرات الاجتماعية والتكنولوجية، وكيف يمكن مواجهتها بفعالية؟

أولاً. الإطار النظري للهوية الثقافية وأدب الطفل:

1. مفهوم الهوية الثقافية: ظهرت فكرة الهوية منذ القدم لدى المجتمعات كنتيجة للتنوع في الإنتاج الفكري، وتطوير الأدوات، وسن القوانين والمبادئ التي تدير شؤون الحياة، لكن مفهوم الهوية بالمعنى الحديث بدأ يتبلور بعد الثورة الفرنسية، حيث ارتبط بتطور علم الاجتماع الذي ركز على العلاقة بين الهوية والانتماء إلى الجماعة، وانطلاقاً من مراجعة الأدبيات المختلفة حول الهوية، يتبين أن تعريف هذا المفهوم ليس ثابتاً بسبب التنوع الفكري والمدارس الفكرية التي تناولته. الهوية تتسم بالشمولية والتعدد، خاصة فيما يتعلق بالتغيرات الاجتماعية التي تؤثر بشكل مباشر على الفكر.

من الناحية الاصطلاحية يعرف مالك بن نبي الثقافة بأنها: "مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ والدته، لتصبح تلك العلاقة الشعورية التي تربط سلوكه بنمط

الحياة في الوسط الذي ولد فيه"¹، والهوية في أبسط تعاريفها تعني "الخصوصية والتميز عن الغير"²، فهي تمثل تلك الخصوصية التي تميز جماعة بشرية عن غيرها من خلال عناصر مثل العيش المشترك، العقيدة، اللغة، التاريخ، والمصير المشترك. هذه العناصر تشكل جوهر الهوية الجماعية، مما يجعلها عنصراً مركزياً في تحديد من نحن كأفراد ضمن مجموعة معينة.

في سياق أعمق، تتداخل الهوية مع الثقافة بشكل لا يمكن فصلهما، حيث تُعرف الهوية الثقافية بأنها "مجموع الصفات أو السمات الثقافية العامة التي تمثل الحد الأدنى المشترك بين جميع الأفراد الذين ينتمون إليها والتي تجعلهم يعرفون ويتميزون بصفاتهم تلك عن سواهم من أفراد الأمم"³، كما تُعرف على أنها "القدر الثابت والجوهري والمشارك من السمات والقسمات العامة التي تميز حضارة هذه الأمة عن غيرها من الحضارات، والتي تجعل للشخصية الوطنية أو القومية طابعاً يتميز به عن الشخصيات الوطنية والقومية الأخرى"⁴، ويعزز محمد إبراهيم هذا الفهم، حيث يُعرف الهوية الثقافية بأنها "الرمز أو القاسم المشترك الذي يميز فرداً أو مجموعة من الأفراد أو شعباً من الشعوب"⁵.

من خلال التعاريف السابقة يمكن استنتاج أن الهوية الثقافية تمثل الركيزة الأساسية التي تميز الأفراد والجماعات عن غيرهم، وتشكل الأساس المشترك الذي يربطهم بثقافتهم وحضارتهم ويعطيهم طابعاً مميزاً يعكس خصوصيتهم القومية والوطنية.

وتؤكد ثناء الضبع هذا المفهوم بتعريفها للهوية الثقافية على أنها: "جميع السمات المميزة للأمة أو المجتمع، وتطبعه بطابع خاص، وتستند إلى مقومات أساسية كاللغة والعقيدة والدين والتاريخ

¹. السويدي، مفاهيم علم الاجتماع الثقافي ومصطلحاته، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1991، ص 68.

². هدى سويلم، واقع التعليم الأجنبي وتداعياته على الهوية الثقافية للطلاب: دراسة ميدانية بمنطقة القصيم، رسالة ماجستير، جامعة القصيم، السعودية، 2017، ص24.

³. خالد حامد، النسق المجتمعي وأزمة الهوية، مجلة العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة تبسة، الجزائر، المجلد3، العدد5، ص339.

⁴. محمد عمارة، الهوية الحضارية، مجلة الهلال، القاهرة، العدد2، فبراير 1997، ص33.

⁵. محمد إبراهيم عيد، الهوية الثقافية العربية في عالم متغير، مجلة الطفولة والتنمية، المجلس العربي للطفولة والتنمية، مصر، مجلد 1، العدد 3، 2001، ص109.

والعادات والتقاليد والقيم وطرائق التفكير والسلوك وغيرها، مما يحفظ للأمة شخصيتها المتجذرة عبر عصور التاريخ وتميزها عن غيرها من الأمم"⁶.

كذلك، يضيف موسى الشرقاوي بُعداً جوهرياً آخر لتعريف الهوية الثقافية، حيث يقول إنها "مجموعة الصفات الجوهرية والثابتة، سواء في الأشياء أو المجتمعات، فللمكان هويته الخاصة، وكذلك بالنسبة للمجتمعات، فلكل مجتمع ثقافة مميزة، وله ثوابته الجغرافية والتاريخية، وموروثاته الثقافية، وبذلك تصبح الهوية الثقافية هي الرمز أو القاسم المشترك الذي يميز فرداً أو شعباً من الشعوب عن غيره"⁷.

وفي النهاية، يتقارب مفهوم الهوية الثقافية لدى الغرب مع مفهومها لدى العرب، حيث تُعرف في اللغة الإنجليزية بمصطلح "Cultural Identity" ويُقصد بها "السمات المميزة لجماعة يعيشون في منطقة معينة لها تقاليدها ودينها ولغتها ونسبها وهياكلها الاجتماعية"⁸.

نستنتج مما سبق أن الهوية الثقافية هي مجموعة من السمات الثقافية التي تميز أبناء مجتمع معين عن غيرهم من أبناء المجتمعات الأخرى وتولد لديهم نوع من الشعور بالألفة والتماسك الإجتماعي والإحساس بالانتماء لهذا المجتمع، وهي الخصوصية الثقافية التي تميز شعب عن غيره، كما أنها قابلة للتطوير والتجديد مع الإحتفاظ بخصائصها الثابتة التي تحدت بفعل التاريخ واللغة والقيم والدين.

2. مفهوم أدب الطفل: إن الأدب بمفهومه العام يندرج في إطاره أدب الكبار وأدب الأطفال على السواء، وإذا وضعنا أبسط مقاييس التفرقة بين هذين الأدبين، لقلنا أن أدب الأطفال هو "فرع جديد

⁶. ثناء الضبع، تعزيز الهوية لدى طلاب المدارس في ضوء تداعيات العولمة، ورقة عمل مقدمة للمؤتمر العلمي العشرين بعنوان: "مناهج التعليم والهوية الثقافية"، المنعقد في دار الضيافة، جامعة عين شمس، مصر، الفترة من 31-30، يوليو 2008، ص 38.

⁷. موسى الشرقاوي، موسى على الشرقاوي، الهوية الثقافية لطلاب كليات التربية في ضوء التحديات المعاصرة، مجلة كلية التربية بالزقازيق، مصر، العدد 2004، 47، ص 24.

⁸. المرجع نفسه، ص 7.

من فروع الأدب الرفيع، يمتلك خصائص تميزه عن أدب الكبار، رغم أن كلا منها يمثل أثارا فنية يتحد فيها الشكل والمضمون"⁹.

يعد أدب الطفل مجالا أدبيا واسعا ومعقد يتضمن مجموعة متنوعة من النصوص والأنماط التي تُعنى بالطفل كجمهور رئيسي، وعلى الرغم من أن الأدب الموجه للأطفال يعد جزءا مهما من الأدب العالمي، إلا أنه لا يوجد تعريف موحد لها، ويعود ذلك إلى تعدد التعريفات والتفسيرات التي تتأثر بالثقافات المختلفة، الفترات الزمنية، والتطورات النفسية والعلمية التي تطرأ على فهم الطفولة ونموها.

إن التعريفات المتباينة لأدب الطفل تعكس التنوع الكبير في محتوى الأدب الموجه للأطفال والطرق التي يتناول بها الموضوعات المختلفة، حيث تتداخل في هذا المجال العديد من الأبعاد الثقافية، النفسية، والتعليمية. ومع ذلك، فإن التحدي يكمن في فهم كيف يمكن لهذه النصوص أن تلبى احتياجات الأطفال المتعددة وتساهم في تشكيل شخصياتهم وهويتهم الثقافية في ظل تغيرات زمنية ومستجدات اجتماعية مستمرة.

يعرفه اسماعيل عبد الفتاح على أنه ذلك الجنس الأدبي المتجدد الذي نشأ ليخاطب عقلية الصغار، ولإدراك شريحة عمرية لها حجمها العددي الهائل في صفوف أي مجتمع...، فهو أدب مرحلة متدرجة من حياة الكائن البشري، لها خصوصيتها وعقلانيته، وإدراكها وأساليب تثقيفها أي في ضوء مفهوم التربية المتكاملة التي تستعين بمجالي الشعر والنثر، بما يحقق المتعة والفائدة لهذا اللون الأدبي الموجه للأطفال،...ولذلك فمصطلح أدب الأطفال يشير إلى ذلك الأدب الموروث، وأدب الحاضر، وأدب المستقبل، لأنه أدب موجه إلى مرحلة عمرية طويلة من عمر الإنسان"¹⁰، وهو دلالة على تشعب النصوص الموجهة للطفل على اختلافها وتنوعها، لحاجة هذه المرحلة من عمر الإنسان إلى مختلف المعارف والعلوم التي تشكلها.

⁹. رافد سالم سرحان شهاب، أدب الأطفال في العالم العربي: مفهومه، نشأته، أنواعه وتطوره، دراسة تحليلية، مجلة التقني، المجلد 26، العدد 6، 2013، ص 23.

¹⁰. اسماعيل عبد الفتاح، أدب الأطفال في العالم المعاصر، رؤية نقدية، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط1، 2000، ص 23، 22.

انطلاقاً من هذا التعريف يتخذ أدب الطفل وظيفته كأداة فنية من أدوات التنشئة لإسهامه في بناء شخصية الفرد في الحاضر ومن خلالها تكوين المجتمع في المستقبل، نظراً لما يقدمه من قيم أخلاقية وتربوية وتعليمية واجتماعية وغيرها.

إضافة إلى هذه القيم يمثل أدب الأطفال "خبرة لغوية في شكل فني، يبدهه الفنان خاصة للأطفال فيما بين الثانية والثانية عشرة أو أكثر قليلاً، يعيشونه ويتفاعلون معه، فيمنحهم المتعة والتسلية، ويدخل على قلوبهم البهجة والمرح، وينمي فيهم الإحساس بالجمال وتذوقه، ويقوي تقديرهم للخير ومحبه، ويطلق العنان لخيالاتهم وطاقاتهم الإبداعية، ويبني فيهم الإنسان"¹¹.

ولأجل ترسيخ وتحقيق هذه الأهداف النبيلة يجري تقديم هذا النوع من الأدب على شكل مجموعة من النشاطات الأدبية المقدمة للأطفال والتي تراعي خصائصهم وحاجاتهم، ومستويات نموهم، أي أنه في معناه العام يشمل كل ما يقدم للأطفال في طفولتهم من مواد تجسد المعاني والأفكار والمشاعر، بما يتناسب مع فهم الأطفال وتشجيعهم على التفكير والتعلم وتنمية الوعي الاجتماعي والثقافي لديهم¹².

تجدر الإشارة . في ختام هذا المبحث . أن إلى أن أدب الأطفال يستمد تعريفه وأهميته من كونه يجمع بين ميزتين أساسيتين: الأولى هي قدرته على تقديم محتوى أدبي ممتع ومسلي، يوفر للأطفال تجربة ترفيهية غنية بالخيال والإبداع. أما الميزة الثانية، فهي دوره في تعزيز منظومة القيم التربوية والتعليمية، حيث يتجاوز مجرد تسلية الأطفال إلى إذكاء روحهم وتشكيل هويتهم الثقافية والاجتماعية، فالأدب الموجه للأطفال يسهم في بناء الهوية من خلال تعزيز قيم الانتماء والوعي بالتراث، مما يجعل الطفل مرتبطاً بجذوره الثقافية وقادراً على التفاعل مع العالم المحيط به بروح منفتحة ومتوازنة.

3. أدب الطفل وإشكالية الهوية الثقافية: تطرح إشكالية أدب الطفل مسألة معقدة تتعلق بكيفية تحقيق توازن بين تعزيز الهوية القومية والمحافظة على القيم الإنسانية العالمية، ففي ظل التغيرات الثقافية والاجتماعية السريعة، يواجه أدب الطفل تحديات كبيرة في تقديم محتوى يعكس القيم الثقافية المحلية بينما يستجيب للتنوع الثقافي والإنساني على مستوى عالمي.

تشكل الهوية القومية أساس الوعي الثقافي والفردية، مما يعزز شعور الأفراد بالارتباط بجذورهم الثقافية والتاريخية. وفي المقابل، تهدف القيم الإنسانية إلى بناء جسور تواصل بين مختلف الثقافات، غير أن الإشكالية الأساسية تتمثل في كيفية تقديم أدب للأطفال يعكس الهوية القومية من خلال

¹¹. علي الحديدي، في أدب الأطفال، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1991، ص 100.

¹². ينظر: رافد سالم سرحان شهاب، أدب الأطفال في العالم العربي: مفهومه، نشأته، أنواعه وتطوره دراسة تحليلية، مجلة

التقني، المجلد 26، العدد 6، 2013، ص 23.

القصص التي تحكي تجارب وممارسات محلية، بينما تحافظ على تفاعل إيجابي مع القيم الإنسانية العالمية، ويتطلب ذلك من الأدب أن يوازن بين تقديم محتوى يعزز الانتماء القومي ويؤمن فهم القيم العالمية المشتركة، مما يسهم في تربية جيل قادر على احترام هويته الثقافية وفهم التنوع الإنساني في ذات الوقت.

إن أول شروط الفلسفة التي يجب أن يبني عليها أدب الطفل هي أن تكون شمولية وموحدة، ويقصد بالشمول معرفة كل العناصر المكونة لأدب الأطفال وأخذها بعين الاعتبار، وأما التوحيد فيقصد به ترابط نواحي الحقيقة كلها، بعضها ببعض وانسجامها وتوازنها¹³، من خلال مراعاة التوازن بين التركيز على المعنويات والروحيات، "فالفلسفة المثالية أو الواقعية تؤكد كل منها ناحية معينة وتهمل نواحي أخرى، ويراد لفلسفة أدب الأطفال أن تجمع حقائق هذه الفلسفات وتوحيدها حتى لا تغطي عليه المادية على حساب الروحيات أو المعنويات أو العكس، أي تغطي الروحيات والمعنويات على حساب المادة"¹⁴. ويمكن القول بأن ما يجب هنا هو تقديمها جميعها بطريقة تتناسب مع عقلية الطفل ومستواه الفكري مع تعزيز القيم الإنسانية المرتبطة بهذه القيم.

في هذا الجانب تنقسم بعض الاتجاهات التربوية الحديثة حول التوازن بين التركيز على تنمية شخصيات الأطفال في حدودها الضيقة وبين الانفتاح على تنمية الثقافيين القومية والانسانية، حيث يرى بعض المفكرين المربين أن يعيش الأطفال طفولتهم، أما البعض الآخر يرى أنه يجب الاهتمام بثقافة الطفل وشخصيته على المستويين القومي والعالمي، وذلك من خلال تبصيره بالمشكلات والأزمات التي تواجه إنسان هذا الكوكب حتى لا ينشأ في عالم وهمي وحتى لا تفاجأه المشكلات¹⁵.

إنه الضروري تقديم مجموعة متنوعة من أدب الأطفال الذي يتضمن مواضيع ومشكلات مختلفة، وذلك لتنمية مفاهيم التفكير والتعبير لديهم من خلال التركيز على القيم الإنسانية الجوهرية وتعزيزها في نفوس الأطفال، مثل الإنسانية والعدل والإحسان والمحبة والتسامح، وذلك لتطوير جيل من الأطفال يحترم الآخرين ويتعامل معهم بإيجابية وإحسان، كما يمكن لأدب الأطفال تناول مواضيع حساسة مشكلات تواجه الإنسان في هذا الكوكب، مثل التحديات البيئية والاجتماعية والاقتصادية.

"ولما كان الطفل هو الحجر الأساسي في بناء المجتمع، فمن الطبيعي أن يبدأ التركيز على هذه الفلسفة التي لها علاقة وثيقة به بقيمه العديدة مع الاحترام والمحبة والتعاون والعمل ثم تتسع إلى

¹³. محمد فاضل الجمالي، آفاق التربية الحديثة في البلاد النامية، الدار التونسية للنشر، تونس، ط1، 1986، ص99.

¹⁴. ربحي مصطفى عليان، أدب الأطفال، دار صفاء للنشر، الأردن، ط1، 2014، ص61.

¹⁵. عبد التواب يوسف، تنمية ثقافة الطفل، سلسلة فصول حول ثقافة الطفل، دار الفكر دمشق، ط1، 2002، ص37.

فلسفة القومية والوطنية ثم مكافحة الاستغلال والاستعمار ورفض التمييز والتعصب بشتى صوره¹⁶، ناهيك على تنمية الوعي بحقوق الإنسان والتعايش السلمي بين الثقافات المختلفة لدى الأطفال وتحفيزهم على المشاركة الفعالة في بناء مستقبل أفضل للإنسانية بأسرها.

وعليه فإن فلسفة أدب الطفل يجب أن تكون إنسانية، وذلك لأن الهدف منها هو تنمية شخصية الطفل وإثراء مخيلته وتعزيز قدراته اللغوية والإبداعية، بغض النظر عن أصله أو جنسيته أو انتمائه الديني أو الثقافي، بالإضافة الى ذلك يجب التطرق إلى مواضيع ايجابية ومحفزة للأطفال، وبشكل عام يجب أن يكون الهدف الأساسي من أدب الأطفال هو تطوير شخصياتهم وتنمية مهاراتهم وقدراتهم الفكرية والابداعية.

في الأخير يمكن القول أن هناك تفاعلا بين القيم الانسانية والقيم الوطنية في أدب الطفل، فالأدب يهتم بنقل القيم الوطنية للأطفال في نفس الوقت يهتم بتعزيز القيم الإنسانية مثل المحبة والتعاون والصدقة والصدق والأمانة.

ثانيا. فن القصة في أدب الطفل:

1. مفهوم فن القصة: يُعد فن القصة من الركائز الأساسية التي تعزز تنوع وثراء المحتوى الأدبي الموجه للأطفال، ولا يختلف تعريف القصة الموجهة للأطفال كثيرا عن تلك الموجهة للكبار، فهي: "فن أدبي لغوي يصور حكاية تعبر عن فكرة محددة عبر أحداث في زمان أو أزمنة معينة، وشخصيات تتحرك في مكان أو أمكنة، وتمثل قيما مختلفة...وهي من أحب ألوان الأدب للأطفال ومن أقربها إلى نفوسهم"¹⁷.

ويعرفها سمر روجي الفيصل بأنها: "جنس أدبي نثري قصصي، موجّه إلى الطفل، ملائم لعالمه، يضم حكاية شائقة، ليس لها موضوع محدّد أو طول معيّن، شخصياتها واضحة الأفعال، لغتها مستمدة من معجم الطفل، تطرح قيمة ضمنية، وتعبر عن مغزى ذي أساس تربوي، مستمد من علم نفس الطفل"¹⁸.

¹⁶. المرجع نفسه، ص 61.

¹⁷. رجي مصطفى عليان، أدب الأطفال، مرجع سابق، ص 123.

¹⁸. سمر روجي الفيصل، الشكل الفني لقصة الطفل في سورية، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق،

1988، العدد 218 . 219، ص56.

انطلاقاً من التعريفين السابقين يمكن القول أن القصص الموجهة للطفل هي جنس أدبي نثري أو لون قرائي فني متعدد المضامين يكتبه الكبار للأطفال ويشتمل على عناصر بناء القصة عند الكبار مثل الحدث، الشخصيات، بيئة القصة الزمانية والمكانية، السرد القصصي، العقدة الفنية، الانفراج... ويراعي الكاتب القصة تبسيط تلك العناصر لتناسب المراحل العمرية.

تستخدم القصص في الحياة اليومية لأغراض مختلفة، فقد تكون للتسلية والترفيه، أو لتوصيل رسائل وأفكار تربوية، أو لزيادة الوعي بمشكلة معينة والتشجيع على التغيير، أو حتى لتبسيط الضوء على ثقافة أو تراث معين، وتنوع القصص بشكل كبير لتشمل القصص الخيالية والتاريخية والعلمية والتعليمية والاجتماعية، وتختلف بالأسلوب والمضمون والجمهور المستهدف، ولكن جميعها تسعى إلى الوصول إلى القارئ أو المستمع وإيصال رسالة معينة.

2. دور القصص المحلية والعالمية في بناء الهوية الثقافية للأطفال: تنقسم قصص الأطفال وفق تقسيمها المكاني إلى قصص محلية وقصص عالمية، حيث تشكل هذه القصص جزءاً أساسياً من تجارب الطفولة، وتقدم للأطفال نافذة واسعة على عوالم متعددة من المعرفة والخيال. إن القصص المحلية هي تلك القصص التي تنبثق من ثقافات محددة وتعبر عن تاريخها، تقاليدها، وأساطيرها وتندمج بانها تعكس القيم الثقافية والمعتقدات الشائعة في مجتمع معين، وغالباً ما تعتمد على التقاليد الشفهية والأمثال الشعبية. من خلال سرد مغامرات الشخصيات المحلية وتعليم الدروس الحياتية، تقدم القصص المحلية للأطفال فهماً عميقاً لجذورهم الثقافية ولبينتهم المحيطة.

أما القصص العالمية، فهي تأتي من ثقافات مختلفة حول العالم، وتتيح للأطفال فرصة لاستكشاف تجارب متنوعة ومعرفة طرق حياة متعددة، كما تقدم رؤى جديدة عن تقاليد وأساليب عيش مختلفة، مما يعزز من وعي الأطفال بالعالم الخارجي ويشجعهم على التفكير بطرق متنوعة، ومن خلال هذه القصص، يكتسب الأطفال معرفة واسعة حول التعددية الثقافية ويستكشفون عوالم جديدة بعيداً عن حدودهم الجغرافية. ولفهم كيف تسهم القصص في بناء الهوية الثقافية للأطفال، من المهم استكشاف الأدوار المختلفة التي تلعبها القصص المحلية والعالمية على هذا النحو:

أ. دور القصص المحلية في ربط الأجيال الناشئة بجذورها الثقافية: تلعب القصص دوراً حيوياً في نقل الثقافة والتراث عبر الأجيال، خاصة في عالم سريع التغير. فهي تعمل كجسر يربط الأجيال الناشئة بجذورها الثقافية من خلال:

- إحياء العادات والتقاليد: تقدم القصص للأطفال سردًا غنيًا بالعادات والتقاليد الثقافية، مما يساعد في ترسيخ معرفتهم بجذورهم والحفاظ على هذه التقاليد عبر الأجيال.
- تعريف الأطفال بتاريخهم الثقافي: تساعد القصص التاريخية الأطفال على فهم تاريخهم الثقافي والشخصيات والأحداث التي شكلته، مما يعزز شعورهم بالانتماء والفخر.
- تعليم القيم الثقافية: تقدم القصص دروسًا في القيم الثقافية الأساسية مثل الصدق والشجاعة والتعاون، مما يساعد الأطفال على تطبيق هذه القيم في حياتهم اليومية.
- الحفاظ على اللغات المحلية وتعزيزها: تدعم القصص استمرارية اللغات المحلية من خلال تشجيع الأطفال على استخدامها وتطويرها بما يتناسب مع العصر الحديث.

ب. دور القصص العالمية في التفتح على الهويات المختلفة: في عالم مترابط ومتنوع ثقافيًا، تلعب القصص العالمية للأطفال دورًا رئيسيًا في تكوين هوياتهم وتعزيز فهمهم للعالم. من خلال استكشاف هذه القصص، يتعرف الأطفال على ثقافات مختلفة، مما يعزز احترامهم للتنوع الثقافي ويدعم نمو هويتهم الشخصية. هذه القصص تعمل على:

- تعزيز التقدير والاحترام للثقافات الأخرى: تساهم القصص العالمية في إدراك الأطفال لقيمة وتاريخ كل ثقافة، مما يعزز احترامهم للتنوع الثقافي.
- استكشاف تجارب متنوعة: تتيح القصص للأطفال فرصة فهم تجارب حياتية مختلفة من منظور ثقافي مغاير، مما يعزز قدرتهم على التعاطف وتقدير التنوع.
- تعليم القيم الإنسانية المشتركة: تقدم هذه القصص دروسًا حول قيم مثل الرحمة والعدالة، مما يساعد الأطفال على الشعور بالانتماء إلى الإنسانية المشتركة.
- تشجيع الحوار الثقافي: توفر القصص العالمية منصة للحوار الثقافي البناء، مما يوسع آفاق الأطفال الثقافية ويعزز الفهم المتبادل.
- تحفيز التقدير للفنون والآداب العالمية: تعزز القصص تقدير الأطفال للفنون والآداب من ثقافات متنوعة، مما يعمق فهمهم للإبداع الأدبي.
- تعزيز الوعي بالقضايا العالمية: تساهم القصص التي تتناول موضوعات عالمية في تعزيز وعي الأطفال بالقضايا الكبرى مثل التغير المناخي والفقر.
- تعميق الشعور بالانتماء العالمي: تساعد القصص العالمية الأطفال على الشعور بأنهم جزء من مجتمع إنساني عالمي، مما يعزز الترابط بين الشعوب.

3. تحديات تجسيد الهوية الثقافية في أدب الأطفال وتأثير العولمة على فن القصة:

يواجه فن القصة في أدب الأطفال في عصر العولمة، مجموعة من التحديات التي تؤثر على دوره في تشكيل الهوية الثقافية للأطفال، حيث تشكل العولمة، بما لها من تأثيرات متسارعة وشاملة، تحديات خاصة في كيفية تقديم القصص التي تعزز الهوية الثقافية بينما تستجيب للواقع المتغير، ومن أبرز هذه التحديات:

. صعوبة تحقيق التوازن بين الهوية الثقافية المحلية والانفتاح على الثقافات العالمية في أدب الأطفال: التحديات وسبل الدمج، يجب على الكتاب إيجاد طرق لدمج القيم الثقافية المحلية ضمن سياقات تعكس التنوع الثقافي العالمي، مع الحفاظ على التفاصيل الدقيقة للثقافة المحلية دون التأثير عليه.

. زيادة التأثيرات العالمية على القصص المحلية، إذ أن العولمة تجلب معها ثقافات وأساليب سردية من جميع أنحاء العالم، مما قد يؤثر على القصص المحلية، وقد يؤدي هذا إلى تغييرات في المحتوى الثقافي لها، مما يهدد بإضعاف الجوانب الثقافية الأصيلة وتغيير كيفية تلقي الأطفال لمفاهيم هويتهم الثقافية، لذلك وجب على الكتاب العمل على ضمان أن تظل القصص محتفظة بنقل القيم والممارسات الثقافية الأصيلة، حتى مع تقديم معلومات حول الثقافات الأخرى.

. ضرورة دمج القيم العالمية بطريقة إيجابية: يتطلب تقديم القضايا العالمية في القصص للأطفال دمجها بطريقة تعزز من الفهم والتسامح دون إغفال الهوية الثقافية المحلية، ويتطلب تحقيق هذا المطلب من الكتاب توخي الحذر في كيفية تقديم القضايا العالمية لتفادي التأثيرات السلبية على القيم الثقافية المحلية.

. تأثير وسائل الإعلام الرقمية : لوسائل الإعلام الرقمية دور كبير في نشر القصص وتبادل الثقافات، حيث يمكن أن تؤدي إلى انتشار القصص العالمية على نطاق واسع، مما قد يؤثر على مكانة القصص المحلية وعلى طرق تفاعل الأطفال معها ، مما يستدعي تطوير وسائل جديدة لجذبهم إلى الأدب الثقافي التقليدي.

. توعية الأطفال حول فكرة التنوع الثقافي: مع الانفتاح على الثقافات العالمية، يجب أن تهدف القصص إلى تعليم الأطفال كيفية التفاعل بفعالية مع التنوع الثقافي، فمن خلال تقديم قصص تعزز القيم الإنسانية المشتركة وتعرض التباين الثقافي، يمكن للأطفال فهم واحترام التنوع الثقافي بطريقة إيجابية.

تعد التحديات المرتبطة باستخدام القصص في بناء الهوية الثقافية مسائل معقدة تتطلب معالجة دقيقة ومرونة في استراتيجيات كتابتها والتفاعل معها، ولمواجهة هذه التحديات، يتطلب من كتاب أدب الأطفال توظيف استراتيجيات إبداعية لضمان أن القصص لا تقتصر على تقديم التسلية فحسب، بل تساهم أيضاً في تعزيز الهوية الثقافية للأطفال بطريقة تناسب العصر الرقمي والعولمة، مما يتيح للأطفال تجربة غنية وشاملة تعزز من فهمهم لثقافتهم وللعالم من حولهم.

خاتمة:

في ختام هذا المقال، نستخلص النتائج التالية:

1. تظهر المداخلة أن فن القصة يتجاوز كونه مجرد أداة ترفيهية، ليصبح وسيلة تعليمية تؤثر في تشكيل الهوية الثقافية للأطفال.
2. تعد القصص وسيلة قوية للتواصل بين الأجيال، حيث تساهم في نقل المعرفة الثقافية والتجارب الإنسانية من جيل إلى آخر، مما يساعد في ترسيخ الهوية الثقافية لدى الأطفال.
3. يدعم التنوع في أنواع القصص . سواء من حيث الشكل أو المضمون . قدرة الأطفال على فهم واستيعاب مختلف جوانب هويتهم الثقافية، كما يساهم في تنمية قدرتهم على التفاعل مع الثقافات الأخرى.
4. تؤدي القصص المحلية دوراً أساسياً في غرس القيم الثقافية، بينما تساهم القصص العالمية في توسيع مدارك الأطفال حول الثقافات الأخرى.
5. رغم الأهمية الكبيرة لأدب الطفل عامة وفن القصة خاصة في بناء الهوية الثقافية للأطفال، فإن هناك تحديات كبيرة، مثل العولمة والتغيرات الاجتماعية، تستدعي مواجهتها بجهود مستمرة.
6. يُظهر البحث أن تأثير العولمة على أدب الطفل يتطلب إعادة النظر في كيفية تقديم القصص للأطفال بطريقة تحافظ على خصوصيتهم الثقافية مع فتحهم على العالم.
7. يُستخلص من المداخلة ضرورة تطوير استراتيجيات تهدف إلى تعزيز أدب الطفل بما يتماشى مع أهداف التربية الثقافية، لضمان بناء هوية ثقافية مستدامة للأطفال.
8. الحاجة إلى بحوث مستمرة لتقييم فعالية أدب الطفل في بناء الهوية الثقافية، مع التركيز على كيفية تحديث وتكييف هذا الأدب ليتماشى مع التغيرات الاجتماعية والثقافية المتسارعة.

قائمة المصادر والمراجع :

1. سمر روجي الفيصل، الشكل الفني لقصة الطفل في سورية، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1988، العدد 218.
2. السويدي، مفاهيم علم الاجتماع الثقافي ومصطلحاته، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1991.
3. ثناء الضبع، تعزيز الهوية لدى طلاب المدارس في ضوء تداعيات العولمة، ورقة عمل مقدمة للمؤتمر العلمي العشرين بعنوان: "مناهج التعليم والهوية الثقافية"، المنعقد في دار الضيافة، جامعة عين شمس، مصر، الفترة من 30-31، يوليو. 2008.
4. حسين عبروس، أدب الطفل وفن الكتابة، دار مدني، الجزائر، ط1، 2003.
5. خالد حامد، النسق المجتمعي وأزمة الهوية، مجلة العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة تبسة، الجزائر، المجلد 3، العدد 5.
6. ربحي مصطفى عليان، أدب الأطفال، دار صفاء للنشر، ط1، 2014.
7. محمد إبراهيم عيد، الهوية الثقافية العربية في عالم متغير، مجلة الطفولة والتنمية، المجلس العربي للطفولة والتنمية، مصر، مجلد 1، العدد 3، 2001.
8. محمد عمارة، الهوية الحضارية، مجلة الهلال، القاهرة، العدد 2، فبراير 1997.
9. محمد فاضل الجمالي، آفاق التربية الحديثة في البلاد النامية، الدار التونسية للنشر، تونس، ط1، 1986.
10. مريم سليم، أدب الطفل وثقافته، دار النهضة العربية، مصر، ط1، 2001.
11. اسماعيل عبد الفتاح، أدب الأطفال في العالم المعاصر، رؤية نقدية، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط1، 2000.
12. رافد سالم سرحان شهاب، أدب الأطفال في العالم العربي: مفهومه، نشأته، أنواعه وتطوره، دراسة تحليلية، مجلة التقني، المجلد 26، العدد 6، 2013.
13. علي الحديدي، في أدب الأطفال، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1991.
14. محمد بريغش، أدب الأطفال، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1992.
15. موسى الشرقاوى، موسى على الشرقاوى، الهوية الثقافية لطلاب كليات التربية في ضوء التحديات المعاصرة، مجلة كلية التربية بالزقازيق، مصر، العدد 47، 2004.

16. هدى سويلم، واقع التعليم الأجنبي وتداعياته على الهوية الثقافية للطلاب: دراسة ميدانية بمنطقة القصيم، رسالة ماجستير، جامعة القصيم، السعودية، 2017.
17. رافد سالم سرحان شهاب، أدب الأطفال في العالم العربي: مفهومه، نشأته، أنواعه وتطوره دراسة تحليلية، مجلة التقني، المجلد 26، العدد 6، 2013.